الإمام وسياسة

اللا شرقية واللا غربية

الدكتور رياض سليمان عواد

المؤتمر الثامن للفكر الإسلامي

١ـ ٤ رجب ١٤١٠هـ . ق

28 -31 jan. 1990

اللهم باسمك أبدأ، ومنك أرجو الهداية والعون أما بعد،

فإن تعبير (سياسة لا شرقية ولا غربية) هي نفس سياسة الإسلام في الاكتفاء الذاتي والاستقلال والرجوع إلى الذات، وفي الحقيقة فإن الإمام الراحل (روح الله الموسوي الخميني) قُدِّسَ سِرُّهُ، لم يمانع من إقامة العلاقات التي تؤدي إلى استعمار البلاد وإذلال الشعوب يرفضها العقل والشرع المقدس، وأما مسألة تعاون وتعاضد الشعوب مع بعضها فكانت دائماً حديث الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ حيث كان يرى في تعاون الشعوب قوة لها، أي كان يؤكد أن قوة الشعوب في تلاحمها وتعاونها مع بعضها، وهؤلاء المستكبرون وعلى رأسهم (أمريكا) لم يفكروا سوى بمصالحهم ولن يفكروا إلا بالويلات والدمار للشعوب المستضعفة.

ولقد فهمت من أحاديث الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ أنه دعا إلى عزة المسلمين ونهى عن خضوعهم وإذلالهم، وكان يدعو إلى عزتهم وقوتهم وكرامتهم.

(لا شرقية ولا غربية) جمعت في جملة واحدة وهي تعني لا ذل ولا استعباد بل العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وفي الحقيقة فإن سياسة (لا شرقية ولا غربية) تؤدي إلى إيجاد العزة للإسلام وللمسلمين وتبعد الأسر والاستعباد والعبودية عن المجتمع الإسلامي، وفي الوقت الحاضر عرف نظام سياسي جديد في العالم هو (عدم

الانحياز)، وقبل البدء بتعريف هذا المعنى يجدر بنا أن نعرف الحياد الإيجابي، ولكي نصل إلى ذلك نبدأ بما هو ليس بالحياد الإيجابي كوسيلة لمعرفة الحياد الإيجابي، وعدم الانحياز، فهناك الحياد الجزئي، الحياد التقليدي، الحياد الدائم، الحياد المؤقت.

١ـ الحياد الجزئي

وضع دولي يتميز بأنه حالة وسط بين الحياد التقليدي والاشتراك في القتال، وتعرف الدولة المحايدة حياداً جزئياً بأنها دولة غير محاربة، والحياد الجزئي ظاهرة برزت منذ الحرب العالمية الأولى ويعني أن الدولة الغير محاربة مع عدم اشتراكها في القتال لها أن تقدم مساعدات إلى إحدى الدول المحاربة لتعزز مجهودها الحربي.

٢ـ الحياد التقليدي

هو العلاقة الكائنة بين الدول المتحاربة من جهة والممتنعة عن الاشتراك في الحرب الفعلية من جهة أخرى. والحياد التقليدي في الاصطلاح الدولي هو الامتناع اختياراً عن الاشتراك في حرب قائمة، وتعتبر دولة محايدة كل دولة تلتزم بواجبات الحياد غير مشتبكة في هذه الحرب، فالحياد بهذا المعنى لا يكون إلا في حالة قيام الحرب، ولكل دولة عند نشوب حرب أن تقف على الحياد أو تدخل في الحرب القائمة ما لم تكن مرتبطة من قبل بمعاهدة تقيد حريتها في ذلك.

والحياد التقليدي يتصف بالسلبية وهو ما يتحاشاه الداعون إلى الحياد الإيجابي، ذلك أن التضامن الدولي بعد قيام هيئة الأمم المتحدة يحتم تعاون جميع الدول الأعضاء في حالة العمل على رد الاعتداء الواقع على إحداها صيانة للأمن والسلام الدوليين.

٣ ـ الحياد الدائم.

وهو شبيه بالحياد التقليدي ويشترط في الدولة التي تتبع سياسة من هذا النوع أن تعلن مسبقاً عزمها الأكيد على عدم الاشتراك في أية حرب فعلية في أي وقت كان، شريطة أن لا تكون لهذه الدولة أهمية كافية للدول الكبرى، وقد وافقت هذه الدول الكبرى على تحييد تلك الدولة.

والحياد الدائم هو وضع قانوني بمقتضاه تحتفظ إحدى الدول بوجودها بمعزل عن أي حرب تخوضها الدول وهو مفروض ومضمون في الوقت ذاته.

٤ـ الحياد المؤقت

وتدعى هذه الصورة من الحياد، بالحياد العرضي أو الحياد المعلن وعلى الدولة التي اختارت لنفسها الحياد المؤقت الالتزام خلال فترة زمنية أو ظروف خاصة بعدم التحيز لأن من الطرفين المتحاربين، وحيث تعلن عن حيادها مع الاستمرار على إبقاء علاقاتها الودية معهما، ولهذا الحياد مركز قانوني خاص، تنشأ عنه حقوق وواجبات تلتزم بها الدول المتحاربة إزاء الدولة التي أعلنت عن حيادها، ومن دون

حاجة إلى عقد معاهدة خاصة تؤكد ذلك الالتزام. كما أن لهذه الصورة من الحياد صفة مؤقتة وعارضة، تبدأ بقيام الحرب وتنتهي بانتهائها.

وقد تنتهي هذه الصفة أيضاً عندما تقرر الدولة التي أعلنت عن حيادها من قبل، الخروج عن طبيعة الحياد والاشتراك بالحرب إلى جانب أحد المتحاربين.

الحياد الإيجابي

ويقصد به حالة حياد تنتفي فيها السلبية التي تدين الحياد التقليدي، بمعنى أن الدولة التي تعلن الحياد الإيجابي لا تقف موقف المتفرج بالنسبة للأحداث الدولية سواء في حالة قيام نزاع مسلح أو حرب باردة، بل تتخذ موقفاً إيجابياً لتخفيف حدة التوتر، وذلك للمحافظة على استقلالها وسيادتها من ناحية والعمل على إعادة السلام وصيانته من ناحية أخرى.

عدم الانحياز

عدم الانحياز في الاصطلاح السياسي يعني حالة من الحياد تتميز بأن الدولة غير المنحازة تعلن مقدماً عدم الاشتراك في المنازعات القائمة بين الدول الكبرى ورفض الاشتراك في أحلافها العسكرية كما أنها ترفض تحديد موقفها مسبقاً من القضايا الدولية نظراً للتغييرات التي تطرأ على هذه القضايا، أي إن هذا النوع من الدول تحكم على القضايا الدولية كل قضية حسب ظروفها بما يضمن مصالح هذه الدول والسلام العالمي.

ولعل أكمل تعريف لعدم الانحياز هو التالي:

«إن عدم الانحياز هو سياسة الاهتمام في الشؤون الدولية، سياسات دولية من صنع أنفسنا بكل تأكيد، منفصلة ومستقلة عن سياسات أي من تكتلات القوى..

مؤكدة لحق الدول الصغيرة والضعيفة عسكرياً في تقرير سياستها بنفسها لما فيه مصلحتها هي بالذات، وتمارس نفوذاً في الشؤون العالمية بما يتفق وحق جميع الشعوب في الحرية وتقرير المصير وبذلك تعبر عن معارضتها في الحرية للاستعمار والسيطرة الدولية لشعب واحد على شعب آخر».

وسياسة عدم الانحياز هي سياسة مستقلة وفعالة بمعنى أنها مستقلة في اتخاذ قراراتها بنفسها والإعراب عن رأيها بنفسها في أي موضوع دولي وفقاً لتقديرها هي ودون انحياز مسبق لأي كتلة أو لمصلحة أية دولة بعينها والنضال من أجل ذلك بصورة فعالة بغية تحقيق سلام ورخاء دوليين وإزالة الاستعمار والاستعمار الجديد والإمبريالية وفي نفس الوقت تحديد استقلال الدول وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لأي بلد، وهي رغبة وقدرة دولة مستقلة في إتباع سياسة مستقلة في الشؤون الخارجية، إنها الرغبة والقدرة على أن تفكر بنفسها وتتخذ قراراتها بنفسها...

بعد هذا الاستعراض السريع للحياد الدولي الراهن لا ريب أن الشعوب الإسلامية، بحاجة ملحة إلى استعادة شخصيتها الإسلامية السياسية والاجتماعية والتربوية والاقتصادية والعسكرية وأن تقف موقفاً حاسماً، أمام التيارات المدمرة

والملحدة الوافدة من خارج العالم الإسلامي، كي لا يجد المستعمر مجالاً لزرع الأفكار الإلحادية الهدامة.

فالمسلمون يواجهون في عقر دورهم، جاهليات كثيرة، جاهلية الشرق وجاهلية الغرب، ومن هنا جاءت دعوة الثورة الإيرانية المباركة للعلماء والمؤمنين أن يعلنوا بطلان أي منهج وسياسة غير منهج (الإسلام) وسياسة (الإسلام) لأن الحكم لله وحده، أن لا يعبد ولا يطاع غيره، ولا يحكم إلا بحكمه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[1].

ويقول الإمام قدس سره: «إن الله تعالى وعد المستضعفين في الأرض بأن ينصرهم على المستكبرين بعونه وتوفيقه، ويجعلهم أئمة وهداة، وقد اقترب وعد الله تعالى، وإني آمل أن نرى هذا الوعد فيتغلب المستضعفون على المستكبرين كما تغلبوا حتى الآن».

وعليك أخي المؤمن أن لا تطمئن إلى العدو وإن أبدى لك المقاربة وإن بسط لك وجهه، وخفض لك جناحه، فإنه يتربص بك الدوائر، ويضمر لك الغوائل، ولا يرتجي صلاحاً إلا في فسادك ولا رفعة إلا بسقوط جاهك.

ولقد كان من أهم مكاسب الثورة الإسلامية الإيرانية ظهور خط سياسي جديد، يعبر عن المواقف الإستراتيجية السياسية والجهادية للمسلمين، ويرتبط بأصوله الفكرية والإيمانية، وذلك هو خط الإمام قدس سره.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

ولا شك أن ظهور خط الإمام الذي هو خط الإسلام والحق والهدى، حيث العز والكرامة حدث سياسي هام يستحق دراسات واسعة وتحقيقات كثيرة، فلأول مرة في العصر الحاضر يكون للجهاد السياسي الإسلامي خط محدد المعالم، وواضح الاتجاه.

يقول الإمام قدس سره: «ثقوا أن قوى الشرق والغرب، إنما هي تلك المظاهر الفارغة للدنيا المادية التي ليست شيئاً أمام عالم القيم المعنوية، إنني أعلنها بصراحة أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تؤسس وتعمل بكل وجودها لإحياء الشخصية الإسلامية لمسلمي العالم كله، ولا ترى أيضاً سبباً لأن تمتنع عن دعوة مسلمي الدنيا إلى تأييد مبدأ امتلاك السلطة في العالم».

ولأول مرة في التاريخ السياسي الإسلامي المعاصر يبرز الخط الإسلامي الأصيل على الساحة السياسية الدولية، إزاء الخطين (اليمين واليسار) وما بينهما من الخطوط والاتجاهات ويبرز الخط الإسلامي باتجاهه النزيه والمستقيم في وقت استنفد فيه (الخط اليميني والخط اليساري) قدرتهما على البقاء ولم يعد لهما ذلك البريق الخاطف الذي كان يغلفهما أول الأمر.

ولأن هذه الخطوط والأفكار الدخيلة لم تعد تحمل مقومات البقاء وأثبتت دائماً فشلها على الساحة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية في حياتنا، ولقد شاء الله تعالى أن يبرز الخط الإسلامي على الساحة السياسية في وقت هزيمة الخطوط الفكرية والسياسية الأخرى.

يقول الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ: «أيها المتأثرون بالغرب، أيها المغترون بالأجانب أيها الفاقدون الألباب، راجعوا أنفسكم، لا تجعلوا صبغة الغرب تستولي على كل ما لديكم، لاحظوا الأشياء التي في الغرب، الأشياء الجيدة التي في الغرب، لاحظوا جمعية حقوق الإنسان الموجودة في الغرب، أنظروا إلى هؤلاء الأشخاص الموجودين هناك، وما هي الأهداف التي يرمون إليها، هل يطالبون بحقوق الإنسان ويجعلونها نصب أعينهم، أم أنهم يريدون حقوق القوى العظمى؟ إنهم يتبعون القوى العظمى ويريدون تحقيق أهداف هذه القوى».

فالثورة الإسلامية في إيران، كانت ثورة مباركة بالمعنى الدقيق والواسع للكلمة، فقد أكسبت هذه الثورة الدعاة إلى الله تعالى بفيض من العطاء والتجارب الخصبة والدروس والعبر والأفكار والمفاهيم، وإذا كان البعض يعتقد أن السياسة في العالم تدور في محور القوتين الأعظم وأحلافهما وشبكاتهما التجسسية وقواتهما العسكرية، وقدراتهما الاقتصادية والسياسية، فإذا اتفقنا على هذا فالويل للعالم الثالث منهما، وإذا اختلفنا فالويل للبشرية، وأما العالم الثالث كما يحلو لهم أن يسموه فلا قيمة له في المعادلات السياسية، ولا يشكل قوة واعتباراً وليس للإيمان بالله تعالى وقدرته وعظمته شأن في هذا العالم، فهو عز وجل القوي المتعال، ولكن السياسة لها شأنها الخاص ومعادلاتها الخاصة ولا دخل لهذه العقيدة في المعادلات السياسية، هذه هي الحقيقة المرة بكل مرارتها وقسوتها، ولكن كيف أصبحنا نفهم الأمور هكذا؟

بكل بساطة تعلمنا السياسة في مدرسة الاستعمار، وأخذنا نفهم السياسة ونناقشها ونحلل ونفسر الأحداث السياسية وأحياناً فيما بيننا نحن المسلمين، وفي مجالسنا الخاصة بهذه الذهنية، وهذه المدرسة السياسية التي أثرت في نفوسنا، وفي فهمنا

للسياسة من حيث لا نشعر مدرسة يهودية قديمة معروفة: قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[٢] وتحولت هذه العقيدة اليهودية القديمة إلى أساس علماني في فهم السياسة، وتحليلها ومناقشتها، وترقب النتائج السياسية والتنبؤ بها، ثم تسلل هذا المفهوم العلماني اليهودي إلى مجتمعنا الإسلامي وأصبحنا نتعامل معه كحقيقة ثابتة لا نقاش فيها، ومن الشواهد على ذلك الأحداث التي سبقت الثورة الإسلامية في إيران.

يقول الشيخ (محمد مهدي الآصفي):

«فقد كنت أتوخى أن أفهم المثقفين الواعين من المسلمين في خضم الأحداث، فلم أجد إلا قلة قليلة كانت واثقة بالنصر، وأكثر من رأيت من المثقفين كانوا يرون أن الورقة الرابحة لأمريكا على كل حال وأن نتائج هذه الحركة لا تتخطى سقوط وزارة وقيام أخرى، وأن هذه الثورة لا يمكن أن تتجاوز حدود الوفاق الدولي القائم بشأن إيران، وأن أمريكا لن تتخلى عن إيران وعن النظام الملكي وإن القضية لا تتجاوز محاولة أمريكية لتأديب الشاه وتحجيم سلطانه، وأن رأس الحبل بيد اليسار، والمؤمنون هم الضحايا أو أن مراجع الدين ينقصهم الوعي السياسي وقضيتهم خاسرة بالتأكيد وأن ثورة الشارع لا يمكن تزعزع أركان النظام الشاهنشاهي العتيد، وأن هناك لعبة خفية تكشفها الأيام فيما بعد، وأن أمريكا لا يمكن أن تسكت عن آبار النفط وقواعدها العسكرية الضخمة في إيران، وأن روسيا لا يمكن أن تسكت عن الغاز ومصالحها في إيران أو أن... وأن.. وأن، وهذا كله صحيح على اختلاف

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

مذاهب الناس في السياسة، لو كان الأساس لفهم السياسة (يد الله مغلولة)، أما عندما ننطلق من منطق (بل يداه مبسوطتان) فإن الأمر يختلف تماماً أو المعادلات السياسية وموازين القوى تتطاير، ويتضاءل دورها وقيمتها، لأن الله تعالى يقول: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[٣].

لقد وعد الله تعالى المؤمنين بالنصر، وإنه تعالى لن يتخلى عنهم في صراعهم مع الباطل، وإن قوة الباطل وسلطانه لن تؤثرا في نتيجة المعركة بحال من الأحوال، ولن تحولا دون نصر الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٤].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿لَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٥].

ولقد جاء النصر، والحمد لله، في رقعة مباركة من رقاع العالم الإسلامي العريض، وحقق الله وعده، وله الحمد ملء السموات والأرض، جاء النصر في هذه الرقعة الإسلامية بعد مخاض قاس وشديد، ثبت فيها أناس مؤمنون بالله وبرسوله، وتساقط فيها آخرون خونة، ونستغفر الله، ولسوف يتوالى النصر إن شاء الله، متلاحقاً مباركاً، متوالياً.

---

(٣) سورة النصر.

(٤) سورة محمد، الآية: ٧.

(٥) سورة الحج، الآية: ٤٠.

فقد انتهت فترة الظلمة وانقطع نفس الاستكبار العالمي (الاستعمار والشيطان) وثبت أن نفس المؤمنين في المعركة أقوى وأطول من نفس الكافرين ذلك أن: ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٦].

يقول الإمام قدس سره: «نحن لا نخشى أن يتكلموا في الغرب ضدنا، وأن يعترض علينا الذين يدعون أنهم يراعون حقوق الإنسان، يجب أن نعاملهم على ميزان العدل وسوف نفهمهم ما معنى الديمقراطية فالديمقراطية الغربية فاسدة، والديمقراطية الشرقية فاسدة أيضاً والديمقراطية الصحيحة هي الديمقراطية الإسلامية، وإذا وفقنا فسوق نثبت للشرق والغرب بعدئذ أن ديمقراطيتنا هي الديمقراطية، لا الديمقراطية التي عندهم، والتي تدافع عن الرأسماليين الكبار، والتي عند أولئك المدافعين عن القوى الكبرى، وقد جعلوا الناس كلهم في كبت شديد».

إن سقوط النظام الإمبراطوري الرجعي في إيران في الثاني عشر من شهر شباط ١٩٧٩ ليس مجرد نهاية طبيعية لمرحلة طويلة من النضال البطولي والجهاد الكفاحي الذي خاضه الشعب الإيراني المجاهد في سبيل إعلاء راية لا إله إلا الله، وقواه الوطنية من أجل تحرير إيران المسلمة من الاستبداد السياسي والقهر الاجتماعي والفساد الاقتصادي والتبعية الأجنبية للدول الرأسمالية المستكبرة وإنما بمثابة سقوط

---

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

ذريع لمرحلة طويلة من التآمر الإمبريالي على شعوب المنطقة بأسرها، فانتصار الثورة الإسلامية في إيران ليس مجرد حدث محلي عابر، بل هو نقطة انعطاف حاسمة في تاريخ العالم الإسلامي، وبالتالي فإن تقييم أهمية هذا الحدث لا يمكن أن تقاس بحجم التغيير الذي يفتحه أمام تطور (إيران) على مختلف الأصعدة، وإنما يقاس بآفاق التغيير التي يفتحها أمام المنطقة وذلك لأن طبيعة العلاقات التاريخية التي تعززت في ظل الحضارة العربية والأمة الإسلامية قد أوجدت نوعاً من الترابط بين مصالح الأمة العربية والأمة الفارسية، وقد ساهم هذا التفاعل بين شعوب المنطقة على دفع الحضارة الإنسانية خطوات واسعة إلى الإمام خلال مرحلة تاريخية امتدت عدة قرون.

وقد عمل الاستعمار والاستكبار العالمي بشرقه وغربه على فك هذا التحالف الإسلامي القائم تاريخياً بين الأمة العربية والأمة الفارسية من خلال استثارة الحرب التي أشعلها النظام الفاشي القذر في بغداد ضد الثورة الإسلامية الإيرانية المجاهدة على طريق إعلاء كلمة الحق والهدى ولا إله إلا الله.

يقول الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ: «إني أطلب من الحكومات أن يطهروا البقية الباقية من النظام الطاغوتي الشاهنشاهي التي امتدت جذورها في جميع شؤون البلاد وذلك بالاستقلال والعزم والفكر دون خشية من الغرب والشرق والدوائر من النمط الغربي والصبغة الغربية إلى النمط الإسلامي ويظهروا للعالم العدالة الاجتماعية والاستقلال الثقافي والاقتصادي والسياسي الإسلامي».

ولم يعد بمقدور الاستكبار الأمريكي أن يسخر إمكانات الشعب الإيراني المجاهد للتلويح باستخدام القوة العسكرية من أجل ضمان مصالح الشركات الاحتكارية على النفط أو التدخل لضرب هذه القوة المستضعفة أو تلك.

يقول الإمام قدس سره:

«لا شك أن مجالس أمريكا تديننا، ومجالس بريطانيا تحكم ضدنا ومجالس الاتحاد السوفيتي تعترض علينا، نحن محكومون من قبل هذه الطبقات، هذا الأمر الذي نفذ في إيران يجعل جميع الطبقات الظالمة والمستكبرة تخالفه، نحن لا نتوقع من أمريكا ومن سائر الدول والقوى العظمى والذين يريدون نهب ثرواتنا وقد قطعنا أيديهم أن يشركونا، وبالطبع فلا يجب عليهم الشكر بل عليهم أن يظهروا أسفاً كثيراً» ويتابع قدس سره:

«دعوا الإسلام يتحقق، دعوا الجمهورية الإسلامية تتحقق مع أحكام الإسلام النيرة، لا تدعوا مجالاً للذين يريدون أن تبقى صناعتنا متأخرة، ولا يريدون أن تتحقق زراعتنا وتتحرك مصانعنا، لا تدعوهم يغفلوكم، إنهم يريدون إغفالكم حتى ينهبوا ثرواتكم ويسرقوا ثروات هذا البلد أو يسمحوا للأجانب (شرقيين وغربيين) بسرقة ثرواتنا، يجب عليكم أن تمنعوا ذلك».

والشعارات التي طرحها الإمام قدس سره في مجال معاداة الصهيونية والتأييد المطلق للحقوق الوطنية للشعب العربي والفلسطيني يشكل البداية العملية لتغيير دور إيران في الصراع الإسلامي اليهودي، بصورة جذرية، يقول الإمام قدس سره:

«يجب أن نعلن لجميع القوى الكبرى أن يرفعوا أيديهم عن المستضعفين ويلزموا أماكنهم، إن (إسرائيل) عدوة البشرية وعدوة الإنسان، وفي كل يوم تخلق فاجعة وتحرق إخواننا في جنوب لبنان».

وعن العلاقة مع الاستكبار الأمريكي يضع الإمام قدس سره النقاط على الحروف عندما يقول: «إن علاقتنا مع أمريكا علاقة المظلوم مع الظالم، علاقة المنهوب مع الناهب، ماذا نستفيد منها إنهم يبتغون هذه العلاقات، إنهم يحتاجون لهذه العلاقات ولكن ماذا نحتاج نحن من أمريكا، أمريكا في آخر العالم إنهم يحبون أن تكون لهم أسواقنا، ويطمعون أن تكون لهم أسواقنا، ويطمعون أن تكون لهم مصادر نفطنا، وأما نحن فمسلمون والإسلام لا يظلم أحداً، ولا يقبل الظلم».

ولقد كان الموقف العربي السوري واضحاً جداً من الثورة الإيرانية المباركة، وقد تجلى ذلك في البرقية التي أرسلها الرئيس حافظ الأسد إلى الإمام رضي الله عنه وأرضاه وجاء فيها:

«لقد أسعدنا انتصار الثورة الإيرانية، ويسرني وقد تحقق هذا الانتصار أن أبعث باسم الشعب العربي السوري وباسمي أصدق التهاني لكم ولشعب إيران المكافح الذي تربطنا به أوثق الروابط.

لقد تابع شعبنا بكل الاهتمام مراحل النضال الذي خاضه الشعب الإيراني بقيادتكم الحكيمة، وقدم خلاله تضحيات جسيمة انتصاراً للمبادئ التي يؤمن بها وتحقيقاً لاستعادة موقعه الطبيعي الذي أبعده عنه الحكم السابق، عندما وضع ذلك الحكم شعب إيران في خندق غير الخندق الذي تقف فيه الشعوب الإسلامية،

وخاصة تلك التي تواجه الاحتلال والعدوان وتناضل ضدهما، إننا نؤكد تأييدنا ودعمنا للنظام الجديد الذي انبثق من الثورة في إيران والذي قام في هدى من مبادئ الإسلام العظيم، وكان في قيامه تحقيق لمصلحة الشعب الإيراني العليا ومصلحة العرب والمسلمين».

لقد دخلت هذه الثورة المباركة عصراً جديداً فاعلاً ومؤثراً على درجة كبيرة جداً في الساحة الإسلامية السياسية، وغيرت كثيراً من الثوابت والحسابات والمعادلات في المنطقة والعالم لصالح الإسلام ولصالح الخير والمحبة والسلام، وأصبح المستحيل ممكناً والممكن مستحيلاً، فليس من شك أنها كانت شيئاً أكبر من الطموح بقيادة شيخ من ذرية الرسول الكريم ﷺ تذكرنا قسمات وجهه قدس سره بأصحاب الرسول ﷺ الذين حملوا هم الرسالة بعزم وتصميم وإيمان ويقين بوعد الله، بعودة الإسلام إلى ساحة الحياة الدولية المعاصرة وتفجير الأرض تحت عروش الظلمة والكافرين، وإقامة دولة الإسلام المباركة في الأرض بعد أمد طويل.

فقد استطاعت الثورة الإسلامية الإيرانية أن تمر بذكاء من خلال مضيق التنافس السياسي بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية دون أن تحتاج إلى هذه الكتلة أو تلك.

ولقد سبق لي أن كتبت في أحدى الصحف إبان بزوغ فجر الثورة: «إننا نعلم جيداً أن القوى الاستكبارية لم تترك الثورة تتقدم وتتوسع على الممكنة للحيلولة دون تقدم الثورة وتوسعها ولكن الله مع الثورة ورسوله والمؤمنين ولسوف ينتصر الحق على الباطل ويطل الخير على أمتنا الإسلامية من خلف حجاب الظلم والقهر».

يقول الإمام قدس سره: «إن القوى العظمى لا تريد أن تتحد الشعوب الإسلامية وتخشى أن يجتمع شمل المليار مسلم في المجتمع الإسلامي وتخشى أن يكون كل هؤلاء تحت لواء الإسلام، ومن أجل ذلك انقضت علينا من كل صوب، فمن

الهجوم العسكري إلى مؤامرة الانقلاب، وأخيراً التهاجم العسكري على يد شخص عميل يدعى (صدام حسين)».

ويقول قدس سره: «إننا دفعنا ثمن هذه الثورة غالياً فلا يجب أن نتركها عرضة للأطماع والألعاب السياسية وحفنة من السياسيين المحترفين في اللعبة الدولية».

فالكتلة الشرقية كاملة تشهد بارتياح انفلات إيران من قبضة الغرب، من دون أن يكلف الاتحاد السوفيتي شيئاً وكانت تراقب عن كثب هذه الثورة العارمة التي أسقطت وصادرت كل الوجود الأمريكي في المنطقة وبذلك فقد حققت الثورة الإسلامية هدفاً مهماً لها كما يرى مراقبوها والمحللون السياسيون التابعون لها، وكان السياسيون السوفيت يعتقدون في نفس الوقت أن إيران إذا خرجت عن قبضة السياسة الأمريكية فسوف لن تجد بداً من الالتحاق بدائرة النفوذ السوفيتي، وسوف يكون الاستكبار الشرقي هو البديل الطبيعي الذي يحل محل الاستكبار الغربي الأمريكي فيها.

ومازلت أحفظ في ذاكرتي ما قرأته في إحدى الصحف:

«لقد كان من الواضح جداً أن الدوائر السياسية في الاتحاد السوفيتي لم تكن تفهم الطبيعة المستقلة للثورة الإسلامية، وكانت تفهم هذه الثورة كسائر المؤامرات العسكرية التي تجري في المنطقة خروج من دائرة نفوذ إحدى الكتلتين، وانضمام إلى دائرة الكتلة الأخرى».

وكانت السياسة الأمريكية في نفس الوقت تعمل على أن لا تـدفع إيـران الثـورة نحو الاتحاد السوفيتي، وأن لا تنقطع آخر الجسور والخيـوط التـي تربطهـا بالنظـام الجديد، وقد بقي الإحساس من جانب أمريكـا بـضرورة التمـسك والمحافظـة بمـا تبقى من العلاقات الإيرانية ـ الأمريكية، وكانت أمريكا انطلاقاً من وجهة النظر هذه، تحاول أن تتلافى أية مواجهة جديدة بينها وبـين حكومـة الثـورة، ومـن بـين هـذه التصورات والتقديرات السياسية الـسوفيتية والأمريكيـة اسـتطاعت الثـورة الإيرانيـة بحول الله أن تمر بسلام وكان الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ يقدر هذه الظروف السياسية بدقة ويـردد: «لن يستطيع أحد أبداً أن يتجاوز حدوده» كما أن الله تعالى حمى هـذه الثـورة مـن قوى الاستكبار العالمي بموقعها الخاص في قلب المنطقة التي تختزن أكبر كمية من احتياطي النفط في العالم، وهذا الـرأي يوضـح لنـا قلـق الـدول الكبـرى والأنظمـة الرجعية في المنطقة من استمرار الحرب التي فرضها النظـام الفاشـي العراقـي علـى الثورة الإيرانية، لأن الله تعالى، وهو الذي نصرهم وأيد خطواتهم علـى كـل أشـكال الاستكبار، فلا شك أن أمريكا أعطت الضوء الأخـضر للنظـام الفاشـي العراقـي فـي إشعال نيران الحرب، ولكن نسيت أمريكا أن من الحماقة أن تعرض هـذه المنطقـة للهيب الحرب وتشعل فيها نيران الهمجية المجنونة لأن أصـابع العـابثين فيهـا هـي أولى الأصابع التي احترقت في هذه الحرب.

يقول الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ: «إنني أواجه اليوم وجوهاً بريئة أيتمتها وشردتها جرائم القـوى الكبرى على أيدي عملائها، الادعاءات اليوم كثيـرة، الكـل يـدعي الإسـلام، حكـام الدول الإسلامية كلهم يدعون الإسلام والحكام في جميع أقطار العالم يدعون حبهم

للبشرية وتأييدهم لحقوق الإنسان مثل هذه الإدعاءات ليست حديثة العهد، ففي صدر الإسلام أيضاً كانت الإدعاءات كثيرة ولكن عند الامتحان تباينت أعمالهم عن ادعاءاتهم فالخوارج أيضاً كانوا يدعون الإسلام وأمثال عمرو بن العاص أيضاً ادعوا الإسلام، واليوم يدعي صدام حسين التمسك بالإسلام، وحب العروبة، وكذلك الخونة من قبيل السادات وأمثاله لهم نفس الادعاء إلا أنه عند مراقبتهم، ومراقبتنا لأعمالهم نرى فواصل بعيدة بين أعمال هؤلاء الخونة وأقواله».

ويقول في موقع آخر: «إن الأمة إنما ضحت في هذه الثورة بأفلاذ أكبادها وأعزائها من أجل الإسلام، وليس من أجل النفط، بينما رجال الاستكبار الدولي يريدون النفط ولا يريدون أن يعلو صوت الإسلام».

ولا شك أن أمريكا وباقي الدول الاستكبارية من شرقية وغربية يرون في الثورة الإسلامية الإيرانية خطراً على كيانهما الشرقي والغربي، ومصالحهما في المنطقة وعلى ثبات المنطقة السياسي أكثر من أي خطر آخر، لأن كلا الكتلتين، لا تخافان من التوسع الهائل في صنع ونصب الأسلحة الإستراتيجية الذرية الذي يقوم به الطرف الآخر، بقدر ما تخافان من انطلاق الإنسان المسلم في المنطقة الإسلامية من قيود الوهم والتبعية الذيلية لأن الأسلحة الإستراتيجية يمكن السيطرة عليها، ولكن الإنسان المسلم إذا انفلت من عقاله، وتحرر من قيوده فلا يمكن السيطرة عليه بحال من الأحوال، فمن المعروف لدينا أن حدة الصراع بين الأيديولوجيتين الشرقية والغربية تتزايد يوماً بعد يوم، فالولايات المتحدة تسعى بكل الأشكال والصور لأن تركز في إستراتيجيتها في المنطقة على إطالة زمن نهبها لخيراتنا، وتوسيع نفوذها

العسكري وتمكين الدولة اليهودية العنصرية كي تبقى رأس الحربة تطعن الجسد المسلم وتعيق أي نزع تحرري إسلامي في المنطقة.

إن الاستكبار العالمي بجناحيه الشرقي والغربي يدرك جيداً هذه الحقيقة، ويدرك أيضاً أن الثورة الإيرانية بعواملها الحضارية التي احتضنت الشعب الإيراني بكل مقوماته وقومياته الفارسية والعربية والتركية والكردية والبلوشية ليست كغيرها من الأحداث في تاريخنا المعاصر، وأنها تشكل منعطفاً تاريخياً حساساً في حياة العالم كله، يقول الإمام قدس سره:

«لا يوجد في الإسلام وطني وأجنبي، الكل مسلمون والكل متساوون هذا يسكن تلك المنطقة، وذاك هذه المدينة، لا فرق في ذلك، إنني أتمنى أن يتحقق الإسلام كما يريده الإسلام، وإذ ذاك تزول هذه الأقوال ونخجل وقتئذ من قولنا (الفرس) ويخجل الآخرون من قول (أتراك) ألسنا جميعاً مسلمين؟ ألسنا أهل بلد واحد؟ ألسنا إخواناً؟ لا يجوز للأخ أن يقول أنا وطني وأنت يا أخي أجنبي».

ومرة أخرى تخطأ أمريكا في تقديرها لقوة الانفجار الثوري الإسلامي في إيران واستمراريته كما أخطأت في التنبؤ بحدوث الثورة ووقوعها، إن أمريكا حاولت أن تتصدى للثورة وتستوعبها وتحرفها، ومدت لذلك أذرعها وحبالها ورجالها إلى وسط تيار الثورة، فكان نصيبها صفعة قوية إذ احتل الرجال المؤمنون السفارة الأمريكية، أو فضحوا أسرار شبكاتها التجسسية، وقطعوا آخر خيوط الصلة مع الاستكبار التجسسي العميل، وقال الإمام قدس سره: «وماذا نصنع بالصلة مع أمريكا؟ إن أمريكا عدوة لنا، وأمتنا تتخذ اليوم الذي قاطعنا فيه أمريكا عيداً لها».

ولكن الحديث عن العلاقات السياسية، ليس المقصود منه العلاقات بين الأفراد بقدر ما يعني العلاقات مع حكومات الاستكبار الدولية، هكذا كان يرى الإمام قدس سره وهكذا كانت صورة الحقيقة والحق والرحمن.

ويقول أيضاً: «إن الشعوب الشرقية الذين توجهوا نحو الغرب بواسطة دعايات عملاء الأجانب في الداخل الخارج، وجعلوا الغرب قبلة لآمالهم وفقدوا أنفسهم، ونسوا مفاخرهم، واتخذوا بدلاً منها عقلاً غربياً هؤلاء أولياؤهم الطاغوت وقد وردوا من النور إلى الظلمات».

نعود لنؤكد بأن الإمام قدس سره لم يمانع من إقامة العلاقات بين الدول ولكنه نهى فقط عن إقامة علاقات مع إسرائيل وجنوب أفريقيا، وأمريكا حيث كان يقول: «لا ضرر من إقامة العلاقات مع الدول بشرط أن لا تتعدى حدها المعقول لأن العلاقات التي تؤدي إلى استعمار البلاد وإذلال الشعوب يرفضها العقل والشرع المقدس» وأريد أن أشير هنا إلى نقطة مهمة وهي أن سماحة الإمام قدس سره جرد بمواقفه تلك المستعمرين من سلاح قديم كانوا يلجأون إليه دوماً وهو الإرهاب وتهديد الناس بالقتل بل إنه طرح مفهوم الشهادة في سبيل الله بين الناس، وحثهم على تحطيم جدران الخوف والرعب وتحدي المستحيل، وذلك بالثقة المطلقة بالله عز وجل والاعتماد على الأمة والصدق في التعامل والاستقلال واعتماد سياسة اللاشرقية واللاغربية، واعتماد الأصالة الإسلامية في التفكير والخط السليم، وعدم الركون إلى الكفر الاستكباري الغربي أو الشرقي والاتجاهات الدخيلة بينهما، والاكتفاء الذاتي في المجال الاقتصادي والاعتماد على النفس في الإنتاج واعتماد التقوى في المسؤولية يقول قدس سره:

«المهم أن تتحرر أفكاركم، تتحرر من التبعية للقوى الكبرى، فإذا تحررت أفكاركم وعلمتم أننا نستطيع أن نكون صناعيين فسوف نكون كذلك، وإن كانت أفكاركم وإيمانكم أننا نقدر أن نكون مستقلين ودون التبعية للغير فتقدرون على ذلك، إذا آمن الفلاحون بقدرتهم على التقدم في الزراعة حتى نتمكن من التصدير، وعدم التبعية للغير، بل الغير يحتاج إلينا، فإننا نتمكن من ذلك».

وتوجيه الناس إلى ذكر الله والعلاقة بالله عز وجل واكتساح الحدود الإقليمية والجغرافية التي رسمها الاستكبار العالمي هذه الفترة لتمزيق شمل المسلمين وتعميق حالة العداء والنفور والسخط تجاه قوى الاستكبار العالمي وخاصة أمريكا، وتزكية وتنمية العواطف والأحاسيس الإسلامية إلى جانب الوعي والتعقل السياسي والفكري والترغيب في الشهادة والتذكير بقيمة الشهيد (أكرم من في الدنيا وأنبل بني البشر).

يقول قُدِّسَ سِرُّهُ: «من الأخطاء الكبيرة للسيد (كارتر) وأمثاله أنهم لم يعرفوا عمق الثورة الإسلامية المعاصرة للجيل الحاضر، وأنهم ينظرون إلى الثورات المعاصرة والشعوب المتحررة من قيود الإسارة الروحية بأفكار المقتدرين الجنونية وأمراض المستكبرين النفسية» ويضيف رضي الله عنه وأرضاه: «وهكذا على القوى العظمى وجميع المستكبرين أن يفهموا أنفسهم ويعثر كل على ضالته فعلى أولئك أن يخرجوا من أسر دعايات الأبواق الشيطانية ويدركوا قدرتهم الإلهية العامة، وعلى هؤلاء أن يدركوا حقارتهم الواقعية أمام الشعوب الثائرة، وذلك حتى يأمن العالم، وتنقطع أيدي الظالمين من الجرائم».

بهذه الأفكار النبيلة كان يخاطب الإمام الراحل الباقي أبداً الناس، وبهذه العقلية النيرة كان يفهم الأمور ويسير بالأمة نحو أهدافها وتطلعاتها يقول قدس سره: «لا يوجد خلاف بيننا وبين الشعب الأمريكي أبداً، ولا عداء بيننا وبين الشعوب ولتتفاهم الحكومات مع الشعوب ومعنا، ولا تكون العلاقات على أساس أن يجلس شخص في القصر الأبيض ويأمرني لأن أعيش في الكوخ، أو أن يكون هو الحاكم وأكون أنا المحكوم، فإذا فهمونا وأدركوا نوعية العلاقة التي نريدها فنرتبط إذ ذاك مع الحكومة الأمريكية أيضاً، وأما إذا أرادت أمريكا أن تستخدمنا ونحن نقدم لها كل شيء فنحن لا نحتاج إلى هذا النوع من العلاقات أبداً».

ولقد كان من أهم واجبات الثورة الإسلامية الإيرانية الإخلال فيما تسميه قوى الاستكبار العالمي بالاستقرار السياسي في المنطقة وتشويش الأجواء السياسية على الخونة والاستكبار العالمي وامتداداته في المنطقة الإسلامية لأن الاستكبار العالمي يصطلح على استقرار مصالحه السياسية بـ (الاستقرار السياسي) وهذا الاستقرار في الحقيقة هو نوع لاستقرار مصالح الاستكبار العالمي واستقرار لامتداداته وعملائه واستقرار للاستمرار في النهب والسرقة وسياسة التركيع والتخويف والتجويع والاستعباد.

وكان دائماً يقول قدس سره: «دافعوا عن كرامتكم الإسلامية والوطنية وصدوا أعداءكم المتمثلين في أمريكا والصهيونية والعالمية والقوى الكبرى سواء الشرقية منها أو الغربية، دونما خوف أو وجل ودون ملاحظة بعض الشعوب والدول الإسلامية، واكشفوا عن الظلم الذي يمارسه أعداء الإسلام».

وأضاف قدس سره: «إنكم تعرفون أن القوى الكبرى الشرقية والغربية تنهب جميع ثرواتنا المادية والمعنوية وقد جعلونا في حالة فقر وحاجة سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية، عودوا إلى أنفسكم واسترجعوا شخصيتكم الإسلامية ولا تخضعوا للظلم وافضحوا بكل جذر المؤامرات المشؤومة للناهبين الدوليين، وعلى رأسهم أمريكا».

فالإنسان هو منشأ جميع الهزائم والانتصارات، والإنسان هو أساس جميع الأمور، لقد عمل الغربيون على جعل الشعوب المستضعفة تعتقد أنها عاجزة حقاً وغير قادرة على أي شيء وذلك عن طريق الدعايات المستمرة وعليها أن تستجدي الدول الكبرى في الشرق والغرب في كافة المجالات، وكل شعب عزم على أمر واعتقد أنه يستطيع إنجازه فإنه سيتحقق حتماً فالأساس هو الثقة بالنفس وهي على قسمين: إما الإحساس بالضعف والخمول والعجز وإما الثقة بالقدرة والقوة والاستطاعة فلو آمن الشعب بقدرته على الصمود بوجه قوى الاستكبار والاستعباد فسيجد نفسه منتصراً عليها بإذن الله.

وهكذا نجد أنه ولأول مرة تستطيع الثورة الإسلامية أن ترفع في وجه القوتين الكبيرتين شعار (لا شرقية ولا غربية) وتمارس العمل السياسي بموجب هذا الشعار وتتخلص من دوائر النفوذ الأجنبية بصورة حقيقية.

الأنظمة التي عرفتها الإنسانية

يعطينا التاريخ المجتمعات البشرية سجلاً واضحاً لحركة تطور المجتمع وارتقاءه، ومع أن حلقات هذا التطور وامتداده لم تكن واحدة في كل المجتمعات يمكن التأكد أن الإنسانية عرفت في تطورها أنظمة متعددة فمن المشاعة إلى العبودية فالإقطاع فالرأسمالية ومن الهمجية إلى غيرها من الأنظمة الشرقية والغربية.

ولا بد من الإشارة إلى خاصية هامة من خصائص التطور هي أن المجتمع الإنساني انتقل من مجتمع لا طبقي لا يعرف استغلال الإنسان للإنسان (المشاعية البدائية) إلى مجتمع طبقي تقوم فيه طبقات أو طبقة باستغلال طبقة أو طبقات أخرى مهما تنوعت أشكال هذا الاستغلال (مجتمعات العبودية والإقطاع والرأسمالية) ومن ثم عاد إلى مجتمع ينتفي فيه استغلال الإنسان للإنسان وينال فيه كل شخص نصيبه من الخيرات المادية تبعاً لكمية العمل التي يبذلها فهذا هو الإسلام وهذا هو دين أن لا إله إلا الله.

ويطلق على النظام الاقتصادية والاجتماعي تسميات مختلفة كأسلوب الإنتاج أو التشكيلة الاقتصادية والاجتماعية، ومع أن هذه التسميات غير متطابقة بمضمونها فإنها تعطي دلالة واضحة عما هو مقصود بها، ذلك أن أسلوب الإنتاج يعبر عن طريقة إنتاج الخيرات المادية وبتعبير آخر إنه طريقة استخدام عناصر القوى المنتجة ودمجها في عملية العمل للحصول على الخيرات المادية، وهذا يعني بالإضافة إلى القوى المنتجة شكل علاقات الإنتاج التي توضع بين المنتجين.

أما التشكيلة الاقتصادية والاجتماعية فتتضمن بالإضافة إلى ذلك شكل السلطة السياسية والأعراف والعادات والتقاليد والقوانين والفنون وغير ذلك مما تطلق عليه السياسة المعاصرة ـ البناء الفوقي ـ ولما كان أسلوب الإنتاج يمثل البناء التحتي في المجتمع الذي يشكل الأساس المادي لبناء فوقي متناسب معه فإن أي أسلوب للإنتاج في النظامين الشرقي أو الغربي يمثل بحد ذاته تشكيلة اقتصادية واجتماعية أو نظاماً اقتصادياً اجتماعياً، والنظام كمقولة فلسفية عبارة عن مجموعة من الأجزاء المترابطة فيما بينها بحيث تحكم العلاقات بين هذه الأجزاء نواميس محددة تسمى بالقوانين، والنظام الاقتصادي أو الاجتماعي يتضمن ثلاثة جوانب مترابطة مع بعضها بعلاقات خاصة تؤثر وتتأثر فيما بينها وتتطور وفقاً لقانونية محددة وهي الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

إن وراء كل ظاهرة قانونية محددة تحكم ولادتها وتطورها ومن ثم هلاكها والحركة التطورية التصاعدية للمجتمعات البشرية ليست مجرد انعكاس لرغبات الناس وإنما هي نتيجة لظروف موضوعية تعود إلى الانتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى.

وهذا الكلام هو نفسه تقريباً في كلتا الكتلتين الشرقية أو الغربية في العالم المعاصر، وهذا كله يجعلنا نقول إن الإمام قدس سره كان الوحيد في العالم الذي لم يتأثر خلال العبور من وسط التيارات العالمية التي سبق لي وذكرتها أولاً بشيء من مفاهيمها وأفكارها، وحافظ على أصالته ونقائه من التلوث الفكري والحضاري والسلوكي، وليس من شك في أن الصلابة الدينية لشخصية الإمام قدس سره كانت من

أهم عوامل هذه الأصالة ففي بداية قيام الدولة ويوم طرح موضوع الاستفتاء قال: «إنني أعطي رأيي للجمهورية الإسلامية من دون زيادة أو نقصان وأوصد الباب بشجاعة دون كل المحاولات التي كانت تحاول دس الديمقراطية أو الشعبية أو الاشتراكية، أو غير ذلك من المفاهيم والمصطلحات على جوهر هذه الدولة ومحتواها» لقد تبنت هذه الثورة من خلال الإمام وتوجيهات الثورة الإسلامية وشعارات وهتافات الأمة شعار (لا شرقية ولا غربية)، ولأن الإسلام يرفض النظم المبنية على أساس غير إسلامي لأنها لا تثمر، ولأن الإسلام يقف في وجه كل نظام أو فرد يقوم بممارسة النظام الإسلامي فيحاربه محاربة لا هوادة فيها وكتذكير أقول بأن جرائم أهل الكتاب بحق الإسلام قديمة ومحاولات تضليلهم للمسلمين كثيرة، كما حصل مع المرتد الخائن (سلمان رشدي) حين ألف كتابه المشؤوم (آيات شيطانية) حيث هاجم فيه الإسلام والمسلمين ممثلين في شخصية الرسول الأعظم ﷺ، وتأتي فتوى الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ بحق مؤلف الكتاب والمطالبة بمنع نشره في العالم انتصاراً كبيراً للمسلمين ضد محاولات التشويه والاعتداء على حقائق التاريخ... ولعل ما جاء في برقية الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ إلى الزعيم السوفيتي (ميخائيل غورباتشوف) يعطينا اليقين على عالمية الثورة الإسلامية وفتحها الطريق لإعلاء (لا إله إلا الله) في العالم أجمع: «يجب البحث عن الحقيقة أولاً، لأن مشكلة بلادكم الأساسية هي ليست قضية الملكية والاقتصاد والحرية، بل إن مشكلتكم هي فقدان الاعتقاد الواقعي بالله وهذه هي ذات المشكلة التي جرت الغرب أو ستجره إلى الانحطاط والطريق المسدود... إن مشكلتكم الأساسية هي التورط في صراع لا طائل تحته مع الله مبدأ الوجود والخلق»..

ومما جاء في خطاب حجة الإسلام علي خامنئي رئيس الجمهورية الإيرانية في الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٨٧: «الثورة الإيرانية تجربة لا مثيل لها على الأقل في القرن الأخير، وحبذا لو وضعت قيد الدرس بإمعان وتأمل من قبل الدول الرازحة تحت الهيمنة ومن قبل قوى الهيمنة العالمية على حد سواء» ويتابع سماحته: «كان عدم الاعتماد على الشرق والغرب ميزة أخرى من المميزات الاستثنائية لهذه الثورة، كما تشكل اليوم أيضاً السياسة الحازمة التي يتبناها نظامنا الثوري» ويضيف: «الفكرة المسيطرة اليوم على الساحة السياسية في كافة أنحاء العالم هي التي تقول باستحالة مواصلة الحياة على المسرح السياسي المعاصر بدون الاتكاء على إحدى الكتلتين، وإذا كان هناك خلاف على مستوى هذا الاعتماد وحجمه فلا يوجد خلاف على أصله.

حتى أولئك الذين تبنوا فكرياً مبدأ عدم الاتكاء وعدم الانحياز يرون عدم إمكانه عملياً.

في هذه الأجواء جاءت ثورتنا الإسلامية بفلسفة جديدة وبقيت ملتزمة بها حتى اليوم.

لقد أثبتت ثورتنا بأنه من الممكن الوقوف بوجه قوى الهيمنة وعدم التأثر بجبروتها وطغيانها وعد الاستسلام أمام ابتزازها على شرط أن تمتلك الإيمان بوجود وقدرة أقوى من كل قدرة مادية يعتمد عليها: ألا وهي قدرة الله سبحانه وتعالى».

وجاء أيضاً في هذه الكلمة: «إن العالم يجب ألا يتحمل هذا الوضع الغير مقبول أكثر من هذا يجب ألا يقول الجميع للدول الكبرى: (اجلسوا في بيوتكم واتركوا العالم لشعوب العالم، أنتم لستم أوصياء على هذه الشعوب)» ويضيف سماحته: «نداؤنا إلى دول العالم الثالث بأن يعملوا على التحالف والتلاحم مع البعض ما دام الوضع على ما هو الآن، ونظام الهيمنة باق على حاله هذه أحسن طريقة لكي يصبحوا أقوياء، إن قوى الهيمنة العالمية لا تعرف شيئاً سوى القوة والقدرة لهذا وإزاء منطق القوة الذي يستخدمونه يجب التحدث بنفس المنطقة، إن صحوة الشعوب ووعيها بطبيعة ودور نظام الهيمنة يشكلان أكبر رصيد لدول العالم الثالث كما أن في ذلك عامل قدرة حقيقياً أمام أصحاب الهيمنة، إن قادة هذه الدول ليست لديهم أية يد طولى وكذلك ليست لديهم أية وسيلة إلا الفكر النير والإرادة القوية لشعوبهم.

إن التحالف الذي نقترحه على دول العالم الثالث ليس تحالفاً لمحاربة القوى العظمى وإنما هو تحالف للدفاع عن أنفسنا وللحؤول دون إضاعة حقوقنا الثابتة».

لقد جاء في الوصية السياسية الإلهية للإمام الخميني قدس سره «أن المخططات التي تركت مع الأسف تأثيراً كبيراً على البلدان وعلى (بلدنا العزيز) ولا تزال آثاره باقية إلى حد كبير هو إبعاد البلدان المستمرة عن هويتها، ودفعها إلى التبعية للغرب، والشرق، حتى ما عادت تقيم وزناً لنفسها وثقافتها وقدرتها، وراحت تنظر إلى القطبين المقتدرين الغربي والشرقي على أنهما من جنس أرقى، وعلى أن ثقافتها

أسمى وأن هاتين القدرتين قبلة العالم، وإن الارتباط بأحد هذين القطبين من الفرائض الحتمية» ويضيف قُدِّسَ سِرُّهُ:

«وهذا الإحساس المفتعل بالخواء والتخلف العقلي أدى إلى أن لا نعتمد في أي أمر من الأمور على فكرنا وعلمنا وأن لا نقلد الشرق والغرب تقليداً أعمى، بل أن الكتاب والخطباء المهزومين أمام الشرق والغرب راحوا يسخرون ويستهزئون بما عندنا من ثقافة وآداب وصناعة وابتكار، وبذلك استأصلوا أصالة فكرنا وقدرتنا ودفعونا ويدفعوننا إلى اليأس، وروجوا بالفعل والقول والقلم والعادات والتقاليد الأجنبية على ابتذالها وفضاحتها، وقدموها إلى الشعوب بالمدح والثناء».

و«لو أن كتاباً أو مقالاً احتوى بضع ألفاظ غربية يتقبلونه بإعجاب دون الالتفات إلى محتواه أو يعدون صاحبه عالماً مثقفاً وكل شيء يقع عليه نظرنا من المهد إلى اللحد، إن تسمى بلفظ غربي أو شرقي يصبح مرغوباً وملفتاً ومن مظاهر التمدن والتقدم» ويستخلص قُدِّسَ سِرُّهُ العبر والحكم المفيدة حين يقول في الوصية« الآن إذ تخلصنا إلى حد كبير واسع من كثير من هذه الشراك، وقد هب الجيل المحروم الراهن للنشاط والابتكار ورأينا كثيراً من المصانع وأجهزة الطائرات المتطورة وأمور أخرى ما كان يعتقد أن المتخصصين الإيرانيين قادرون على تشغيلها، وكانت أيدينا ممتدة نحو الغرب والشرق نستجدي منهم المتخصصين كي يديروا عجلات مصانعنا وإذ راح شبابنا الأعزاء على أثر الحصار الاقتصادي والحرب المفروضة يصنعون قطع الغيار المطلوبة وبثمن أرخص من المستورد، وسدوا بذلك الاحتياج، وأثبتوا أنهم إن أرادوا استطاعوا».

وكالمرجة الخضراء التي على بساطها المخملي الأخضر اصطفت الأشجار الواحدة تلو الأخرى، حتى غدت سوراً مموجاً أخضر، لا نعرف أين آخره فقد التصق بالأفق كأن السماء تتوكأ عليه، تنسابها الجداول الرقراقة العذبة، متهامسة بين الحصى، مترنمة بين الأعشاب، ناشرة في الهواء عبير الكم والرؤية الصحيحة، كذلك كانت كلمات الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ كالمرجة الخضراء خاصة حين يقول: «الآن إذا تم ذلك، أوصي الشعب العزيز وصية خادم عطوف أن يكونوا واعين يقظين ومراقبين كي لا يستطيع أصحاب الألاعيب السياسية المرتبطون بالغرب والشرق بوساوسهم الشيطانية أن يجروكم نحو هؤلاء الغزاة الدوليين.. انهضوا لقطع أواصر التبعيات بإرادة عارمة وبنشاطكم ودأبكم، واعلموا أن العنصر الآري والعربي ليس بأقل من عنصر سكنة أوروبا وأمريكا وروسيا».

ومما جاء أيضاً في الوصية السياسية الإلهية للإمام قُدِّسَ سِرُّهُ: «وصيتي إلى جميع المسلمين والمستضعفين في العالم هي أنكم يجب أن لا تجلسوا وتنتظروا حكام ومسؤولي بلادكم أو القوى الأجنبية ليأتوكم ويتحفوكم بالاستقلال والحرية، نحن وأنتم خلال القرن الأخير على الأقل حيث دنست أقدام القوى الكبرى الطامعة كل البلدان الإسلامية وسائر البلدان الصغيرة شاهدنا أو قرأنا الصحيح من التاريخ إن أية حكومة من الحكومات المسيطرة في هذه البلدان في الماضي والحاضر لم تكن تهتم بحرية شعوبها واستقلالهم ورفاههم».

ويعلل ذلك «بأنها كانت عميلة للقوى الكبرى باذلة كل جهدها من أجل خلق حالة التبعية في البلدان والشعوب جاعلة البلدان بحيل مختلفة سوقاً للغرب أو للشرق وبذلك حققت مصالح أولئك (الأسياد) وجعلت الشعوب متخلفة مستهلكة».

ويتابع قُدِّسَ سِرُّه: «وصيتي إلى الجميع هي أن تسيروا قدماً نحو معرفة ذاتكم ونحو الاكتفاء الذاتي والاستقلال بكل أبعاده، واضعين الله نصب أعينكم ومن المؤكد أن يد الله معكم إن كنتم في خدمة الله، واستمرت فيكم روح التعاون من أجل رقي الوطن الإسلامي ورفعته».

وصفوة القول

إن سياسة اللاشرقية واللاغربية هي سياسة الإسلام، سياسة أن لا إله إلا الله، وهي بالتالي سياسة الإمام قُدِّسَ سِرُّه، سياسة الاكتفاء الذاتي والاستقلال والرجوع إلى الله عز وجل ونصره والاعتماد عليه.

وهي تعني العزة للمسلمين وتعني أيضاً، أبعاد الاستعباد والاستعمار والذل عن المجتمع الإسلامي القوي بحب الله وعون الله، ودعم كل ما هو في خير ومصلحة الإسلام والمسلمين، لأن تعاون وتعاضد الشعوب المستضعفة مع بعضها كانا دائماً حديث الإمام قُدِّسَ سِرُّه حيث كان يرى في هذا قوة لها، وكان يؤكد أن قوة الشعوب المستضعفة في تلاحمها وتعاونها مع بعضها البعض وهؤلاء المستكبرون وعلى رأسهم الاستكبار الأمريكي لم يفكروا سوى بمصالحهم الخاصة، وهم بالتالي يريدون أن يجروا العالم إلى الويلات والدمار، «لا شرقية ولا غربية» جمعت في جملة واحدة أنه لا ذل ولا استعباد، بل العزة لله ولرسوله والمؤمنين.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

مصادر البحث:

* سلسلة الدروس الدينية في العقائد الإسلامية للشيخ ناصر مكارم الشيرازي (١ـ ٢ـ ٣).

* سلسلة دروس من الثورة الإسلامية في إيران للشيخ محمد مهدي الآصفي (١ـ٢ـ٣).

* إيران تسمع فتجيب للأستاذ (لطف الله الصافي).

* الإسلام ومبدأ المقابلة بالمثل للأستاذ (جعفر مرتضى العاملي).

* توجيهات الإمام الخميني إلى المسلمين.

* أرشيف مجلة المناضل.

* أرشيف مجلة كيهان العربي.

* أرشيف مجلة الثقافة الإسلامية.

* كتاب مدخل إلى علم السياسة (لموريس دوفرجيه).

* نهج البلاغة.

* ينابيع المودة.

* النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي وخصائصهما المميزة (٤٩).

* حركة عدم الانحياز (٤).

* آثار الحرب في الفقه الإسلامي (لوهبي الزحيلي).

* تبدأ النار بمستصغر الشرار (لفيكتور سامارين).

* غطرسة القوة (ليفجيني لوجونوي).

* الوصية السياسية الإلهية للإمام قُدِّسَ سِرُّه.

* كلمة حجة الإسلام علي خامنئي في الأمم المتحدة ١٩٨٧.

* مقالة الأستاذ حسان عبد الله أبو صالح، مجلة الوحدة الإسلامية.